نـافـذة

سلامات... التينة العتيقة

كانت عادتنا، صباح الأول من كل عيد، أن نلتقي في بيت عمتي في حينا القديم- مئذنة الشحم- بعد أن نكون قد زرنا ضريح والدي في «الباب الصغير» ووضعنا عليه الآس وسفحنا عليه بعض الماء البارد.

.. كان بيت هذه المرأة الطيبة، ملتقى أفراد الأسرة جميعاً، فتسقينا من قهوتها- وما زلت أذكر من أيام الطفولة كيف كانت تعدها على ما تسميه «البابور» الساكت- وتقدم لنا الضيافة فنتبادل الأحاديث والأفكار والنكات.. ثم يمضي كل إلى سبيله.. وكل عام والجميع بخير.

وبعد أن فارقت عمتي الحياة، بقيت أزور حينا، فأمر لزيارة الأصدقاء والأصحاب، ومن بقي من الأهل.

.. بين هؤلاء الذين أحببت «أبو عزة»، وهو ليس من جيلي، لكن أخاه محمداً كان رفيقي في الحارة.

وفي الحقيقة فإن زيارتي إياه هذه المرة، كانت للاطمئنان أكثر منها للمعايدة، فقد انهارت أجزاء من بيته، وواجه الرجل صعوبات كثيرة..

ولهذا الانهيار قصة، لم يستطع مهندسو البلدية أن يضعوا يدهم على سرها فهم لا يعرفون أن التلة التي ينهض عليها هذا البيت، وتدعى «تلة النجارين» تطوي تحتها بقايا القصر الملكي الآرامي الذي دمره وضربه الآشوريون قبل ثلاثة آلاف سنة تقريباً..

ولم يكن هذا الصرح الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من دمشق، عند طرف السور هناك تماماً، قصراً فحسب، بل كان أيضاً قلعة دفاعية، كما هو الحال في المباني المشابهة في ذلك الزمن، حيث يقيم الملك أو الإمبراطور.. وحيث يتحصن في قلعة، هي موقع دفاعي قوي في الآن ذاته.

ويخيل إلي أن هذا هو سر التخلخل في بعض أبنية التلة المذكورة، وهو الذي أدى إلى ذلك الانهيار في بيت أبي عزة.

قعدنا في أرض الديار، في ظل شجرة التين، تحيط بنا أحواض النبات وأصص الزهر، ويواجهنا قاسيون بعمالقة الإسمنت التي تقف أمامه كمردة أسطوريين، والبيوت التي تناثرت على سفحه.. كأنها كلمات فكت من أجمل قصائد الشعر..

أخذ الرجل يتكلم، ولم أكن أفتح فمي إلا بكلمات صغيرة عابرة، قال: إن أولاده، يصرون على إحالته على التقاعد، يريدون منه أن يقعد فقط مرتاحاً خالي البال، بعد أن شارف السبعين..

ولقد تضافروا جميعاً لئلا يشعر بحيف حين وقع الانهيار.. وأعانوه بأقصى ما عندهم من قوة وإمكان- وهم جميعاً عاملون- لإخلاء الدار من الأتربة والأنقاض، والترميم والإصلاح..

وهم الآن مسؤولون عن كل شيء في البيت.. وبين وقت وآخر يضعون في يده، بعض المال، وإنهم ليفعلون هذا كله، دون أن يحاول أحد منهم، أن يصدر أي كلمة أو إشارة، قد يشعر أبو عزة أن فيها بعض المن.

.. وإذ فرغ الرجل من حديثه، خطر لي أن أسأله عن عمر شجرة التين التي كنا نتفيأ ظلالها، وأذكرها من أيام الطفولة، حين كنت أزور أخاه محمداً، غير أنها لم تكن فارعة باسقة هكذا.

قال: هذه زرعتها أمي، في هذا الموضع قبل سنين طويلة.. كنت أنا ما أزال طفلاً.. في تلك الأيام لم تكن المغاسل في كل البيوت، فكانت أمي تنظف مواعين الطعام في هذا الموقع، بعد أن تأتي بالماء، من بئر كانت في أول الزقاق، وإذ تنجز عملها، فتسفح ماء التنظيف، حدث أن انجرفت هذه التينة معه عدة مرات.. لكنها كانت تسارع إلى إعادة غرسها في هذا المكان ذاته.

كنت أعرف جيداً، وقد اقتربت الساعة من الثانية عشرة، أن الحرارة غدت في الخارج مرتفعة، لا تطاق، غير أني في ظل التينة التي نيف عمرها على السبعين عاماً، كنت أحس، بلطف الفيء.. وبأن نسيماً عليلاً يتحرك بين أغصانها العالية.

وجاء أحد أبناء مضيفي بصحن فيه ثمار تين قطفت قبل قليل فوضعه على الطاولة أمامنا، والتفت إلى أبيه يسأله أن يسمح له لكي يتسلق التينة فيقطف ثماراً من أغصانها المتسامية.

ابتسم أبو عزة لولده دون تصنع وقال:

- يا بني نحن نقطف.. من الأغصان القريبة، أما العليا فهي للعصافير والطيور التي تزورنا، ألا يجب أن ندع شيئاً.. لله..

ومثلما يحدث في الصور السينمائية، فإن الرجل كان يبتعد عن عيني رويداً رويداً، ليتداخل مع التينة العتيقة.. الصامدة.. الصامتة.. الصابرة.. المعطاء.

نصر الدين البحرة

أحداث مسرحيّة داخل وخارج العرض وراية متجددة للفساد

مسرحيّة «زهرة الياسمين»... مديرية المسارح تضع العقبات.. والعرض يحظى بجمهوره

عامر فؤاد عامر- تصوير طارق السعدوني

الصراع بين الخير والشرّ، وقصّة دراميّة يجسدّها مجموعة من الممثلين والفنيين بصورة حملت روح التعاون يعبرّ كلّ منهم عن أدواته بما يمكن أن يصل للطفل بصدق، والتعامل مع ذكائه بحذر، وصولاً إلى نتيجة منطقيّة؛ وهي تفوّق الخير، وانتصاره على الشرّ، مع تصفيق للأطفال، وتأثير واضح من خلال ردّات فعلهم، وصيحاتهم أثناء العرض، وبعد انتهائه، وسعيهم للاقتراب أكثر من الشخصيّات وتلمّس أدوات الديكور والقطع التي اعتمدها. هذه هي أجواء مسرحيّة «زهرة الياسمين» باختصار، وبساطة، ولكن لدى الدخول لتفاصيل العمل، والتحدث إلى القائمين عليه سنجد صعوبات بالغة واجهوها وتأثروا فيها وتحدّوها، ما يجعلنا أكثر أسفاً على ما وصلنا إليه، فبعد مرور وقت طويل من الأزمة السوريّة، التي علقنا منطق وقوعها في جانب منه على كلمة الفساد، نجدّه اليوم أكثر وضوحاً في مديريّة المسارح والموسيقا، ولا يوجد من يحاسب!

> مديرية المسارح لم تحضر العرض، ولم تكلف أحداً الحضور

عنايّة بالتفاصيل كرمى للطفل

التقينا مخرج العرض ومؤلف النصّ «وليد الدبس» وتحدثنا معه عن تفاصيل خاصّة بعرض «زهرة الياسمين»، وعن شاشات الإسقاط أو شاشات خيال الظلّ المستخدمة فيه يجيب: « شاشات خيال الظلّ هي من مخيّلة الإخراج، ومن الإحساس باللون، وهي وسيلة في كيفية إيصاله للمتلقي، والمشهديّة بالإجمال كيف يمكن أن تُقدم له، وهذا كلّه سيشكّل صورة متكاملة لدى الطفل، فمثلاً عندما نقول غابة في سياق العرض سنضع تمثيلاً لها خيال شجرة على هذه الشاشات لتحريض مخيّلة الطفل في تذكر مشهد أو شكل الغابة، وهنا كلّ طفل سيتخيّل الغابة حسب المعلومات المسبّقة التي شكّلها عن الغابة، وهنا راعيت مسألة مهمة وهي أن الطفل يمتلك طاقة من الخيال مخيفة جداً، وعلينا أن نتعامل مع هذه الثقافة بحساسيّة واهتمام».

تقبّل الأطفال لسلبيّة الشخصيّة

تنوعت المسرحيّة بين شخصيات إيجابيّة وأخرى سلبيّة وفي مشاهد كثيرة توضحت صورة للمؤامرة تحاك بطريقة مزعجة لقتل الحالة الجمالية المرتبطة بزهرة الياسمين بطلة العرض، ولوجود الساحرة ومساعدتيها مساحة كبيرة من تلك المشاهد، وعن مشاهد الخوف والعمل على كيفيّة تقبّل الطفل بشجاعة، أجابنا المخرج «وليد الدبس»: «مسرح الطفل يرتكز على قاعدة في أحد جوانبه وهو الصراع بين الخير والشر، وهي مسألة درستها بدقة، فانتقيت الكلمات باهتمام حتى يستطيع الطفل سماعها ولا يخاف منها من خلال الشخصيّات، وهذا طبعاً على صعيد الحوار، أمّا على صعيد المكان، فاختيار الألوان يجب أن يكون مراعي جداً بما يتناسب مع المخيّلة، وذوق الأطفال، وثقافة البيئة، والفطريّة، ثم العمل على الحركة وطريقة الأداء، ثم الموسيقا، ثم اللغة البصريّة الموجودة في العمل كله».

حرارة مرتفعة ولا تكييف في الصالة

يُحسب في العرض الإقبال الكبير في الحضور، وقد تنوعت شرائح الجمهور فالأعمار متفاوتة ولم تحمل فقط شرائح الأطفال، وعلى الرغم من درجة الحرارة المرتفعة جداً إلا أن الحضور كان كبيراً وهذا دليل نجاح العرض، ومن المؤسف نقل أجواء الصالة التي امتلئت بالحضور والتي لم تحمل أدنى درجات التكييف، وهو مسرح القباني، فهل من المعقول ألا تتمكن إدارة مديرية المسارح من تدارك هذه النقطة حفاظاً على صحة أبنائنا وإن كانت على موقف ما من العرض، فهل تأخذنا المواقف في هذا الزمن إلى المغامرة حتى بمن بدؤوا بتلمس الطريق وأقصد الأطفال، فمع مرور ساعة كاملة على تقديم العرض على المنصة وصلت أجواء الصالة لحالة تعيسة وخيالكم كاف لتصور ما حدث والمشكلة تكمن أنهم أطفال!

نصّ محلّي

فيما يتعلق بالنصّ والتأليف المحلي وخصوصيّته عن تبني نصّ مترجم غريب عن البيئة والثقافة يشير المخرج وليد الدبس إلى أنه بحث عن نصوص تُعنى بمسرح الطفل لكن النتيجة التي وصل إليها أن النصوص فقيرة، مع وجود نصوص مترجمة مأخوذة من ثقافات أخرى، لكن هذا بحدّ ذاته جعله يبتعد عن فكرة تبني نص مترجم لأنه بعيد عن ثقافتنا وعن بيئتنا وأحلامنا ومعاناتنا ومستقبلنا وماضينا ولذلك قرر التأليف ليكون ما يقدّمه قريباً من ضمير ووجدان الطفل لدينا.

ديكور وصعوبات مفروضة مقصودة

لعنصر الديكور أهميته الخاصّة في العرض المسرحي، والذي ربما لا ينتبه لصعوبة تحقيقه المتلقي كثيراً بسبب عدم وجود القفزات النوعيّة لدينا في تطور هذه المسألة في سورية فالأمر يعتمد على جهود شخصيّة يبذلها المهتمون في هذا الجانب، وفي مسرحيّة «زهرة الياسمين» يمس كلامنا الأستاذ «محمد وحيد قزق» مصمم ديكور وإكسسوارات المسرحيّة، والذي يحمل تجربته الغنيّة في هذا المجال اجتهاداً منه، والذي قال لنا: «هذا هو العمل الثامن ضمن تجربتي في مجال الديكور والإكسسوار، وعمل الأطفال بالتحديد يتطلب اهتماماً كبيراً ودقة في التعامل، ولكن استنفرنا جميعاً منذ عطلة عيد الفطر لنقدم عملاً متكاملاً، وقد حضر معاون السيد الوزير «بسام غنّام» أكثر من مرّة ليلاحظ الجهود التي قُدّمت والتعب للوصول لنتيجة مرضية». وعن صعوبات واجهت العاملين في هذه المسرحيّة وضغوطات تحمل تكراراً وإهمالاً يضيف «محمد وحيد قزق»: «كان هناك إهمال مقصود من مديرية المسارح والموسيقا لعملنا، فهل من المعقول أن يكون هناك عمل مسرحي تابع لمديرية المسارح والموسيقا التابعة لوزارة الثقافة السوريّة لا يلقى أدنى اهتمام من هذه الإدارة! وهل من المعقول أن يجهز ديكور العرض من النجارين قبل بساعتين من العرض الأوّل، ولدينا معالجة فنيّة بعد تركيب الخشب كإلباس الخشب أقمشة وغير ذلك، بالتالي هناك ضغط وسرعة من قبلنا للعمل حتى يظهر بصورة لائقة، ولا تضيع جهود القائمين على العمل سدى، لكن نكتشف فيما بعد بأن الأخشاب المطلوبة والمخصصة لعرضنا «زهرة الياسمين» كانت تخرج من مديريّة المسارح والموسيقا إلى مسرح الحمراء لأن هناك عرضاً يتمّ التحضير له! كلّ ذلك لا يندرج إلا تحت اسم المحسوبيّات». ولدى دخولنا في تفاصيل العمل مع «محمد وحيد قزق» أخبرنا بالمنع الصريح والمباشر الذي تعرض له في عدم معالجة الجدران السوداء والتي هي امتداد للفضاء السينوغرافي، وهي المادة الأساسية التي يجب أن تسيطر على أجواء هذا النوع من الأعمال، وطبعاً المنع من إدارة مديرية المسارح نفسها!

تفوق جهد الفرد على المؤسسة

وعن صعوبة التعاطي مع هذا الجانب وسعي العاملين في المسرح – قسم منهم وليس الجميع طبعاً – يضيف الأستاذ «محمد وحيد قزق»: «المسرح مشروع إفقار للعاملين الشرفاء فيه، فليس من المعقول الاعتماد على ورشات خاصّة لإنجاح عمل مكلفة به مديريّة المسارح والموسيقا، بالتالي المؤسسة تتكل على جهود الفرد لإنجاح عمل هو من واجباتها الأساسية فالمطلوب منها أن تقدّم وتبذل لعروضها، وفي الحقيقة لديها المقدرة. لكن ما وصلنا إليه اليوم أننا نُحارب بلقمة عيشنا وبالتالي نسعى لورشاتنا الخاصّة كي ننجح أعمالنا ونتابع حياتنا».

شتان بين الياسمين والنيلوفر

حوادث كثيرة حصلت لتجافي عرض «زهرة الياسمين» ونذكر منها، عدم تزويد العرض بمعدات لازمة كأغصان أشجار الغابة التي عاش فيها أبطال المسرحيّة مغامراتهم، ما اضطر طاقم عمل المسرحيّة إلى الاعتداء على أشجار الطريق وقطع مجموعة من الأغصان قبل بداية العرض الأول بنصف ساعة! وأيضاً من النقاط البارزة التي يمكن التنويه إليها هو عدم تكليف مديرية المسارح حضور العرض أو ما نسميه الافتتاح الرسمي للعرض لا في اليوم الأول ولا قبله أو بعده! لكن ما يثير الاهتمام أكثر هو أن عنوان المسرحية ومضمونها له علاقة بدمشق ورمزها من خلال نبتة الياسمين التي طالما تغنينا بها، ولكن في البروشور التي تصنعه المديريّة لا يهمها هذا الأمر على ما يبدو!؟ فقد تم وضع صورة عالمية لفنانة تشكيلية فرنسيّة لا قرابة بينها وبين العرض بل هي ترمز لزهرة النيلوفر الخاصّة بتلك البلاد لتضيع صبغة الياسمين التي كانت شديدة الوضوح بين العنوان والرقصات والحوار للأسف، هذا ولن نتطرق للأخطاء المزعجة التي وردت في الكتابة ضمن بروشور العرض!، والذي يمثل بوابة العبور الأولى بين المتلقي والعرض في عالم المسرح.

تصرفات غير مسوّغة

مساعد المخرج «محمد المودي» ومصمم الرقص حدّثنا عن بعض الصعوبات التي رافقت العمل فقال: «على الرغم من صفتي كمصمم للرقصات منعت من وضعها بالتوازي مع صفة مساعد المخرج وتمّ استقدام الأستاذ «سامر الزيّات» لتصميم الرقصات، وهو مشكور جداً على تعاونه معنا فقد وصلنا معاً لتقديم لوحات جميلة جداً. وهناك صعوبات كثيرة لم استوعب أسبابها حتى اليوم فليس من المعقول أن نُحرم طوال وقت التدريب من الدعم من مديرية المسارح إلى قبل بداية العرض بلحظات، ليتمّ عرض المساعدة علينا منهم، بمعنى كل ما تودونه متاح! فماذا سيكون ردنا هنا لا أعلم».!

تجربة أولى

بعيداً عن الصعوبات والمشاكل التي واجهت عرض زهرة الياسين» التقينا بطلة العرض «ديالا داوود» التي عرفتنا عن نفسها لأنها التجربة الأولى لها في مجال التمثيل: «أنا طالبة في كليّة الهندسة الزراعية، في السنة الثانية، وهذه تجربتي الأولى التي عرضها عليّ المخرج «وليد الدبس»، وهذه التجربة كانت تحدّياً على الصعيد الشخصي، فقد كسرت حواجز لها علاقة بالخجل، وشعرت بالسعادة بسبب ردّة فعل الأطفال فهم صريحون وصادقون. ومشاركتي هذه قد تدفعني لمشاركات أخرى، ولكن الأمر يعتمد على الوقت ووفرته بما لا يتعارض مع دراستي».

تميّز سيدة الأشواك

من بين الشخصيّات التي أثرت في الأطفال وفي الحضور شخصيّة «سيدة الأشواك» التي جسدها الفنان «زهير بقاعي» الذي يقول حول هذه الشخصيّة وكيفيّة إغنائها وإنجاحها: «أن يأخذ شاب دور ساحرة هذا سيزيد من الفرق الجمالي بين الساحرة وزهرة الياسمين، إذ إن العرض يقوم هنا على دور المنافسة بينهما، والمطلوب هنا أن يأخذ الطفل موقفاً منها، وألا يخاف منها، وهذا ما تعمدته بأن تخدم الشخصيّة العمل ويحبها الأطفال، وأن يبقوا على حذرهم منها، وهذا ما لاحظته في ردات فعلهم، والشخصية فيها لمسة من الطرافة، وقد عملت اعتماداً على ذكاء الطفل وعدم تقديم الشخصية بصورة تقليديّة، والتي ستوصلنا لصورة جافة، وعموماً في الفن نسعى لتقديم حتى الصورة القبيحة برؤية فنيّة جماليّة حتى لا نصل لنتيجة النفور من المتلقي، وخاصّة الطفل الذي يجب أن نكسب رؤيته، وموقفه، وانفعاله، وتصفيقه. عموماً شخصيّة سيدة الأشواك ممتعة في حركاتها، وصوتها، وتذهب لإدهاش الطفل».

الأعمال الشعرية لهنيدي

الوطن

في سلسلة الأعمال الأدبية القصصية والشعرية التي تصدر عن الهيئة العامة السورية للكتاب، صدرت الأعمال الشعرية للشاعر الطبيب نزار بريك هنيدي، وقد ضم المجلد الأول المجموعات الشعرية: البوابة والريح ونافذة حبيبتي، جدلية الموت والالتصاق، ضفاف المستحيل، حرائق الندى، غابة الصمت، الرحيل نحو الصفر، الطوفان، لا وقت إلا للحياة، وهذه المجموعات تغطي مرحلة شعرية مهمة للشاعر بدأت عام ١٩٧٧ وحتى عام ٢٠١٠. من أجواء الشاعر:

هناك على شرفة المطر... ترقبت أن تتجلي
وأن تظهري... وأينع في القلب ورد الهوى
وحط اليمام على القمر... وفي الروح ذاب الغمام
وراح... يرش بأمطاره صوري

بدأ مجلد الأعمال الشعرية بإضاءات استغنى بها الشاعر عن كتابة تقديم خاص يسوغ فيه جمع هذه المجموعات، ومن هذه الإضاءات شهادة للشاعر العراقي عبد الرزاق عبد الواحد: «وجدت في نزار بريك هنيدي ذلك الشاعر الذي يودع في قصيدة اللمحة تلك الكثافة التي يتحول معها الفحم ماساً. استقرار واضح في اللغة، استقرار في الجملة الشعرية، صفاؤها وسلامة تركيبها ثم صفاء الرؤية ووضوح الصورة لديه بكل رموزها وأخيلتها مهما ابتعد رفيف أجنحتها».

والناقد الراحل يوسف سامي اليوسف يقول بعلمية: «لا ريب في أن نزار بريك هنيدي هو واحد من هذه الباقة المأنوسة التي ما زال كل شاعر من شعرائها قادراً على إنتاج النص الصالح للقراءة والمتعة الأدبية».

فإلى هذه الأعمال علنا نستمتع بمسوغ جمعها في ديوان واحد.

شام النعسان موهبة سورية تحلم بالغد

الوطن

إطلالة طفولية ساحرة، وحضور واثق من نفسه أمام كاميرات التصوير وهي تؤدي أغاني التراث الشعبي والطرب لعمالقة الفنانين، والتي نشأنا على أصالتها وذكرياتها.

هي صغيرة جداً، وبدأت موهبتها منذ كان عمرها سنتين، لم تقلد رفاقها في أغاني الأطفال البسيطة، بل بدأت مشوارها الفني بالغناء لسميرة توفيق وفايزة أحمد وصباح وعبدو موسى ورياب مشهور وفهد بلان وغيرهم، وأدت تراث موطنها (جبل العرب) الرائعة، مثل (لا كتب ورق وارسلك)، وغنت (ياسمين الشام علي أدك) وغنت للوطن وللجيش العربي السوري وللقائد وللأطفال وللسلام وغنت لها بشكل خاص من كلمات الشاعر عزيز إدريس وألحان والدها الإعلامي محمد نعسان والذي يرافقها دائماً على آلة العود.

هي (شام)، الطفلة التي حققت نجومية وشهرة في رقم قياسي، وصنعت من براءتها تميزاً وإبداعاً في الإعراب، ما أثار إعجاب المشاهدين، وأشادت به المحطة والمواقع الإلكترونية وصفحات التواصل الاجتماعي بتلك الطفلة وما أظهرته من ذلك اللقاء من حضور يعطيها أكبر من عمرها بكثير.

تقول شام: الفضل الأول في نجاحي «لله عز وجل»، ولوالدي، حيث كان لمشاركته معي في موهبتي دور مهم في بلورة شخصيتي وثقتي بنفسي وبإمكانياتي، إضافة للدعم الإعلامي الذي حصلت عليه.

وتضيف: وأحلم بأن أكبر وأصبح سفيرة لوطني في دول العالم كافة، لأريهم أن أطفال سورية مثلي جميعهم، يحبون الغناء والفن والبسمة اللطيفة وليسوا هواة حروب وقتل ودمار وجميع أطفالنا مبدعون ومثقفون ومميزون منذ نعومة أظفارهم، إنما بحاجة بسيطة للاهتمام.

يذكر أن شام من الأوائل في مدرستها وهي في المرحلة الثانية من الدراسة الابتدائية وهي ابنة عائلة إعلامية معروفة وكان لها دور مهم في وصول ابنتهم لهذا المستوى اللائق.

استضافة قناة تلاقي الفضائية لها في احتفالية «شكراً حماة الوطن» وما أجابت عن أسئلة والدها في الإعراب، ما أثار إعجاب المشاهدين، وأشادت به المحطة والمواقع الإلكترونية وصفحات التواصل الاجتماعي بتلك الطفلة وما أظهرته من ذلك اللقاء من حضور يعطيها أكبر من عمرها بكثير.

تقول شام: الفضل الأول في نجاحي «لله عز وجل»، ولوالدي، حيث كان لمشاركته معي في موهبتي دور مهم في بلورة شخصيتي وثقتي بنفسي وبإمكانياتي، إضافة للدعم الإعلامي الذي حصلت عليه.

وتضيف: وأحلم بأن أكبر وأصبح سفيرة لوطني في دول العالم كافة، لأريهم أن أطفال سورية مثلي جميعهم، يحبون الغناء والفن والبسمة اللطيفة وليسوا هواة حروب وقتل ودمار وجميع أطفالنا مبدعون ومثقفون ومميزون منذ نعومة أظفارهم، إنما بحاجة بسيطة للاهتمام.

يذكر أن شام من الأوائل في مدرستها وهي في المرحلة الثانية من الدراسة الابتدائية وهي ابنة عائلة إعلامية معروفة وكان لها دور مهم في وصول ابنتهم لهذا المستوى اللائق.

«المطر الأسود» والدة الشهيد والكبرياء

وائل العدس

أطلقت المخرجة سارة الزير شارة البداية إيذاناً ببدء تصوير فيلمها الطويل «المطر الأسود» في دمشق، علماً أنها ألفته بنفسها.

الشريط إنتاج شركة سيميلي، وتمثيل: فاديا خطاب، وعلي كريم، وميريانا المعلولي، وسامي نوفل، وبلال مارتيني، ويوسف عساف، ومروان خلوف، ورشدي المقبل، وسيرينا محمد، والطفلة آية الحسن.

قصة الفيلم

تدور أحداث الفيلم في منزل «أم الهمام» بدمشق، لكنه أشبه بمنزل ريفي وسط ترف العاصمة، يتوسط حديقة أو فسحة سماوية سقفه مستعار، ويدل من عتبته على فقر حال أصحابه، ويبدو من ترتيب أثاثه مدى تآلف هذه العائلة والتي تحتضنها «أم الهمام» والمكونة من أربعة أبناء هم على الترتيب «الهمام» وهو الابن الأكبر متزوج من «يم» شابة ملأى بالعنفوان والكرم والاندفاع كزوجها ولهما ثمرة زواج وهي الطفلة «نجمة» ذات الأعوام الثمانية، و«أمان» وهو الابن الثاني، وقور وهادئ، يحيط من حوله بالسلام، اكتسب من والدته كل الحكمة والنبل والأصالة»، و«الكميت» وهو الابن الثالث، وأيضاً زرعت فيه والدته ثمرات الأخلاق والشجاعة والتضحية، و«فهد» وهو الابن الأصغر وآخر العنقود، رغم نزق عمره وطيشه لكن فيه من الكبرياء والإرادة والقوة ما يكفي فرقة من الشبّان.

تسكن «أم الهمام» مع أولادها الأربعة وزوجة ابنها البكر وطفلته في المنزل ذاته وتحت سقفه الهش ظاهرياً، وذلك بعد وفاة زوجها منذ سنين عديدة ولم يزدها العمر والهمّ إلا حكمة ورزانة وتسليماً ورضاً، هي كشجرة السنديان تبقى شامخة رأسها نحو السماء وجذورها مثبتة في عمق التراب.

والدة الهمام تفقد أولادها الأربعة وزوجها ولا يبقى لها من العائلة سوى حفيدتها «نجمة» فتقص لها سيرة الأبطال وكيف استشهد كل من والدها ووالدتها وأعمامها الثلاثة وجدها، كلٌ منهم لينير درب البطولة من خلال العودة بالزمن، ومن خلال صديق لهم من درعا يدعى «جاسم» كان قد حارب لجانب أحد أبنائها وأنقذه ولكنه أصيب وسببت له الإصابة إعاقة جسدية ألزمته المنزل، لكنه لم يقطع تواصله مع أم الهمام.

رسالة الفيلم

وعن رسالة الفيلم تقول مخرجته ومؤلفته في تصريح لـ«الوطن»: تكمن الرسالة باختصار بتقديم بطاقة شكر لوالدة الشهيد وعلى وجه الخصوص التي قدمت أربعة من أبنائها فداء وتضحية لتراب الوطن الغالي ولا تزال تمدنا بكل معاني الكبرياء والكرامة والقوة، وكم نخجل من أنفسنا إزاء عطائها.